السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا
الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا
لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب
الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم
على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم
بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم
انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام
محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي
غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق
هذا الكلام فيه لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد
المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان
والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله لا
تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا
امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي
الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين
الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم
والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة
الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرا نافع
والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا ابو عمرو وحمزة
وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل
والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير

لكونه

لكونه ادا والمعنى ان هذه الكلمة لعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم
تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا
للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء
الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو فيكون
من دعا بمعنى سمى المتعدي لمفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى
الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية
للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها
ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من
في السموات والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي
اليه بالعبودية والانقياد وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد احصاهم
حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم
عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم
القيامة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه
ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها عن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم توضع له المحبة في الارض والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين
حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيامة
حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل
فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن
يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين اي الصائرين
الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة اخذين في كل لديد اي شق
من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم
من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز
الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض

تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم